

الأنساق الثقافية في التجربة الروائية بين خصوصية الكتابة وهاجس الاختلاف في (بوابة الذكريات) لأسيا جبار.

Educational evaluation and its importance in the school curriculum

1 سلوى بوراس*

اسم الجامعة: جامعة الاخوة منتوري قسنطينة 1

البريد الالكتروني: salwiminoucha@gmail.com

تاريخ الارسال 2025-07-23. تاريخ القبول 2025-08-12. تاريخ النشر 2025-12-17

الملخص.

يشكل النقد الثقافي في العالم أجمع و العالم العربي على وجه التحديد قضية يسهر الخلق جرّاه و يختصم، و لا يزال كذلك إلى يوم الناس هذا. وقد تمكّن بفضل مرونته و إمكاناته الخاصة من فتح أبواب عوالم النص الأدبيّ و الرّوائيّ على مصراعيها أمام القارئ و قالت هيت لك...ليغوص بعدها في دلالاته العميقة و معوله في ذلك الأنساق الثقافية. وهنا لا جرم أن تتحوّل الرواية إلى نصّ مصغّر يفتح المجال رحبا للخوض في جوهرها و فضاءاتها عبر سبر معانيها المعلنة الظاهرة و الغائبة المضمرة.

و الروايات الجزائرية كائنات حيّة تتنفس، تنبض ثقافيّا و حضاريّا ؛ بل إنّها إشعاعات عالميّة و فضاءات لا حس لها و لا حدود و حمالة أوجه بالضرورة، و حبلى بالزخم الثقافي و الأنساق الثقافية بنوعيتها.. من هنا وقع اختيارنا على رواية " بؤابة الذكريات " للرّوائية أسيا جبار محاولين في ورقتنا البحثية كشف الخبايا و الوقوف على الأبعاد مدعّمين في ذلك بشواهد و دراسة تطبيقيّين .

الكلمات المفتاحية: النقد الثقافي، الأنساق الثقافية، الرواية الجزائرية، المرأة، الدين.

Abstract :

Cultural criticism is one of the most important means that helps the reader enter the worlds of the literary text. Cultural patterns also contribute to understanding the connotations related to the text and make it a miniature text that summarizes the content of the novel, which can be understood through the declared and the implicit absent and in search of deciphering hidden codes. The contemporary novel in general, and the Algerian novel in particular, is not devoid of cultural patterns. This study seeks to focus on the term cultural criticism in general and cultural patterns of both types in particular, based on the novel (Gate of Memories) by the novelist "Asia Jabbar," which included it. This article also aims to provide an applied study of the novel, in order to reveal its secrets and determine its dimensions.

The keywords :

Religion, women, cultural patterns, cultural criticism.

مقدمة:

عبر تتبّعها لإيديولوجيا الواقع، عبّرت بعض المتون الروائية الجزائرية بامتياز عن واقع الفرد قبل المجتمع، ناهيك عما عكسته أنساقها المضمرة عن حال الإنسان في ظلّ ما فرضه راهنه... و بين عقلية الفرد و متغيّرات المجتمع بات الحديث عن منطقة الأمان في هذه المتون الروائية أمرا شبه مستحيل، الشيء الذي حمل الروائية الجزائرية " آسيا جبار " عبر جملة من رواياتها؛ على عكس السائد و خرق نظم الكتابة الروائية عبر كسر الطابوهات و تجاوز المألوف السائد إلى المختلف .

قارئ روايات أسيا جبار يجد لذة خاصة و تجربة استثنائية، كونها بارعة جدًا في التلاعب بالأنساق الثقافية: المعلن منها و المضمّر.. يجب أن يكون قارئًا نخبويًا مثقفًا فطنًا. فرواياتها ليست للجميع.. لا بدّ له من فهم مدلولاتها داخل النص الروائي. وبين مدّ و جزر بين ما قدّمه النص و ثقافة القارئ؛ يكون المعنى سيّد الموقف يسوس النصوص متحدّيًا القارئ ، متلاعبًا به، دافعًا إيّاه إلى التمرّد على راهنه. و كلّ الغاية جذب انتباهه و استدعاء تأويلاته و استحضارها وصولًا إلى عقله و إلى مدلول المتن الروائي.

و الحال هذه: كيف تجسّد النّسق الثقافيّ المضمّر و المعلن في التجربة الروائيّة لأسيا جبار؟ أكان هذا نمطًا سائدًا في كلّ انتاجها الروائيّ؟ أم اختلف الأمر في النهاية ؟.

1/ في النقد الثقافي:

النقد الثقافيّ فن نقدي حديث ومعاصر بامتياز، ركيزته الأنساق الثقافية بنوعيتها المعلنة و المضمرة؛ و هو محور أساس في تشكيل النصوص الروائية و تجسيد لأبعادها بدقة على مستوى البناء اللغوي. بفضل خاصيّة الأنساق، نلج حياة الإنسان في العالم الآني الرّاهن و لحظاته مع نفسه و وسطه .

و الأنساق الثقافية تيمة تحتاج إلى مزيد البحث و التنقيب و إلى أن يماط عنها اللّثام مع كلّ عمل نقديّ جديد تاركا خلفه المتعارف و المتداول ساعيا لتشكيل ذلك الأدب غير المعلن و المهمّش مسدلا السّتار عن الأدب الهامشي ذلك الوافد الجديد.

يراه عبد الله الغدّامي " فرعا من فروع النقد النصوصي العام، ومن ثم هو أحد علوم اللغة وحقول اللسانيات معنيّ بنقد الأنساق المضمرة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي بكل تجلياته وأنماطه وصيغته، ما هو غير رسمي وغير مؤسساتي وما هو كذلك سواء بسواء...و لذا هو معنيّ بكشف اللاّجمالي، كما هو شأن النقد الأدبي، وإنّما همّه كشف المخبوء من تحت أقنعة البلاغي الجمالي"¹.

يعدّ النقد الثقافي من أهم المعارف التي عرفت في الساحة الأوروبية ، وهذا ما يبدو جليا من خلال التجديد وتجاوز المعروف و الفضل في ذلك للأنساق المضمرة والمعلنة خلف الكتابات والإبداعات الروائية متجاوزا فكرة الجمالية لعالم نقدي مضمر جديد.

2/ في الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية:

ينقسم الأدب الجزائري إلى قسمين اثنين: أدب جزائري مكتوب باللغة الأم/الذات /النحن/المألوف؛ وأدب جزائري مكتوب باللغة الفرنسية/ الآخر /الغريب/المختلف ؛ و ههنا مربط الفرس؛ فقضية الهوية بيت القصيد .. إذ لم تكن يوما وليدة اللحظة بل ضاربة جذورها في القدم إلى الاستقلال .

هدفنا في هذا المقال، هوية الروائية آسيا جبار في حدّ ذاتها في شقين؛ سيرتها الذاتية أولا؛ و الجانب المغمور من خلال الأنساق الثقافية ثانيا .

تولدت الكتابة عن الاختلاف، باختلاف اللغات و الثقافات هو مبرر الحاجة إلى وجودها، كما تعدّ الرواية ملقاة الثقافات و مجالا تتصهر فيه التجارب و تتلاقى الهويات...فضاء متحرر يسمح بالتعدّد و الاختلاف و التّوّع الثقافي و اللّغوي.. لكن ماذا عن الكتابة بلغة الآخر؟

يصرّح عبد الكبير الخطيبي " أشعر وأنا أكتب بلغة الآخر بأنني أشبه بالطفل اليتيم وهو يبحث عن شكل من أشكال التبني"² ويدعم هذا الرأي عبد الله الركيبي: بقوله: " وهذه المأساة عبّر عنها البعض من الكتاب الجزائريين، واعترفوا بأنهم غرباء منفيون في لغة أجنبية ، وزاد من إحساسهم بهذه الغربة أنهم يكتبون لجمهور غير مواطنيهم، فقرأوهم خارج بلادهم، وهذا كان سببا في انتشار الأمية في وطنهم، فهم من هذه الناحية (يتامى محرومون) ، كما عبر مالك حداد، وحتى ما تُرجم من كتبهم إلى اللغة الأم لم يجدوا قراء كثيرين ودفع البعض منهم إلى أن ينادي بوقف الكتابة باللغة الأجنبية"³ . فالأدباء الجزائريون فعلا عاشوا هذه التجربة المريرة مع الكتابة ، وهناك من شبه اللغة الغربية بزوجة أب خشنة وفظة على حد تعبير آسيا جبار"⁴ .

لأزيد من عهد، امتدّت تخوم تاريخ الرواية الجزائرية الإبداعية بين تأليف جمالي، و تجديد فكريّ و ملامح شعرية و خيال خالصين؛ ممّا يدخلنا كقرّاء حيّز الثقافة و الفن و خصوصية التجربة الروائية؛ فقد اختلفت عن مثيلاتها من روايات القطر العربيّ نظرا لخصوصية الوضع السياسي و الاجتماعي و الثقافي الذي عاشته إبان الاحتلال الفرنسي الغاشم... حاول هذا الأخير القضاء على الشخصية الوطنية الجزائرية، بل تمادى حتى تكريس لغته الاستعمارية لطمسها ، ممّا أفرز كتّابا يكتبون باللغة الفرنسية. الأمر الذي جعل " الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية سابقة تاريخيا عن نظيرتها المكتوبة باللغة العربية نتيجة المثاقفة مع الأدب الغربي و أيضا ميلاد هذه الرواية على أيدي ثلثة من الرواد أمثال: آسيا جبار (Assia) (Djebbar) ، مولود فرعون (Mouloud Feraoun) ، مالك حداد (Malek Haddad) ، محمد ديب (Mohamed Dib) ، كاتب ياسين (Kateb yacine) .

وما ولادة الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية وغيابها باللغة العربية إلا ميلادا استثنائيا ، كان نتيجة لظروف استثنائية عاشها الأفراد الاستثنائيين كذلك ، تمكنوا من ولوج المدرسة الفرنسية والاحتكاك بالثقافة والفكر الغربي ، فظهر انتاج ابداعي في جنس الرواية يوظف اللغة الفرنسية كوسيلة للتعبير عن هموم الإنسان الجزائري. هذه النشأة الأدبية جعلتها زحما معرفيا وأرضية خصبة للأنساق الثقافية بنوعيتها. يعتقد السعيد بوطاجين أنّ "إشكالية الهوية في الكتابة أثرت على اعطاء صبغة حقيقية لأدبنا حتى نعرف من نكون وماذا نريد لأننا غرباء في المكان فلا يمكن الحديث عن أدب جزائري حامل للهوية المشرقية أو الأمريكية أو الأوروبية"⁶ فهذه لحالة الازدواجية المعقدة والتي لا يمكن تجاوزها ، و هذا ما جعل للابداع الجزائري حرا ومتحررا وأدبا ذاتيا.....

3/ قراءة في حدود الرواية (بوابة الذكريات):

تروم هذه الورقة البحثية الاقتراب من أسئلة الذات و الآخر التي تحتل الصدارة في النقاشات الفكرية المعاصرة - و القديمة كذلك على حدّ سواء - تزامنا مع تطوّر الدراسات الثقافية في الغرب و التوجّهات الجديدة لعلم الأدب المقارن ؛ و ما إلى ذلك من الصور النمطية و التّمييزية التي تتشكّل في ذهن المتخيّل /القارئ و تصبح قابلة للتغيير و التحوير وفقا للأنساق الثقافية بنوعيتها و ما تضرره من دلالات؛ و ما تحمله من أبعاد ثقافية و إنسانية. و يتمّ التركيز على الأنساق المنغرس في الرواية باعتبارها خطابا سرديا لا يخلو من إحالات رمزية و وحدات دالة .

في الرواية موقف أنثوي جزائري جريء تجسد في كتابة تجاوزت حدود المألوف وانغمست في إبداع تحدّث عن المرأة وكشف كل ما كانت تصر على إخفائه ولكنه بالمقابل صور موقف هذا المخلوق من العالم ومن الواقع الذي صار المجتمع الجزائري ومن خلاله كل المجتمع العربي يرزح تحت نيرانه .ان نص (بوابة الذكريات) يحتاج إلى وقفات نقدية تحدد ملامح الجدة فيه وتبين الطريقة التي باتت المرأة المبدعة تفكر بها وهو الأمر الذي سنتعقبه فيما يأتي من المقال.

اختارت "آسيا جبار"⁷ المرأة الكاتبة الرواية ك مجال للبوح والإبداع والتعبير لأنها من أكثر الفنون الأدبية قدرة على سرد التفاصيل وتصوير الواقع إلى درجة دقيقة وهي أداة فنية مميزة ترصد الواقع بكل خباياه وتعبر عنه. عندما نتحدث عن المرأة يتبادر في أذهاننا الدقة والرقّة والعاطفة الجياشة والحنان الدفين ، كيان كرمه الدين الإسلامي بكل مقوماته ودعائمه وشرائعه .

و الأدب فن يتمشى و هذه الكينونة و ينسجم مع أنوثتها... كيان يروم التحرّر و التّحليق بعيدا نحو أفق لم يدنّس و لم تطمثه أيادي و لم يصبه تشوّه و مسخ. وروايتها: "أرفع مثل للاتصال المتبادل اكتشفه الإنسان وهي منذ نشأتها تحاول أن تحل محل الفنون الأدبية جميعا وان تستمد خصائص كل منها مما يزيدها وعيا وقدرة على استيعاب خصائص الفنون الأخرى"⁸. تتم أعمالها عن خبرة واعية ومقصودة في تحدي المجتمع بنبرة حادة نقدية وصريحة للمجتمع فهي أفصحت في هذه الرواية عن الممارسات الألاخلاقية ضد المرأة من

قمة الهرم الاجتماعي حتى قاعدته. كما تجلى ذلك في عنف الواقع الذي واجهته بعنف الكتابة ، واعتمدت على ثنائية تقابلية كثيرة السلطة المعارضة....

4/ آسيا جبار والأمومة:

تقول الساردة : “برزت صبية للوجود: عمرها سنتان ونصف السنة أو ربما ثلاث سنوات، ترى هل الطفولة نفق من الأحلام لامع هناك على خشبة مسرح يعاد العرض، ولكن لك وحدك أنت يا صاحبة العين الجاحظة؟ هذه طفولتك تمتد لأي صفية وكاتمة أسرار ولأي ابنة عم عابرة تكون قد رأيت دموعك تنهمر في خضم الشارع فيما مضى، أو نحيبا لا يزال يمزقك؟

ثمة رسوخ باق: أُمي لا تزال حية ترزق بفضل ربي، بإمكانها أن تشهد على ذلك، تسع عشرة سنة فقط تفصلني عنها. عندما كنت أعلم السير، كانت تترك بأنها في مدينة شرشال حيث الطقوس الأندلسية تؤدي دونما تغير، وكانت تتمتع بمنزلة العروس الفتية الممتازة المتبخترة في أفراح النساء، حاملة جواهر ثمينة، قد ضاعت اليوم - مثل تلك العصافير والورود الذهبية المنتصبة على رأسيتها المصنوعة من الساتان المتموج، المتأرجحة ببطء مكلفة جبهتها-، هي المعبودة الباسمة ذات العيون المخضبة واللآلئ الفضية التي تبرز وجنتيها”⁹.

كرم الله المرأة بأعلى منزلة وهي الأمومة في كل الشرائع السماوية، استحضرت الروائية هذا لنموذج (الأمومة) وهو نسق معلن تمثل في الفرحة التي تسعد بها كل أم عندما يرزقها الله تعالى بطفل مولود تكون لها النجمة اللامعة في سماء ظلامها السرمدي والبسمة الوردية التي تزور محياها عندما تضيق بها السبل ، كما تفيض بها حبا وحنانا لأنها تولت تربية طفلة وعنايتها وعمرها لا يتجاوز السن تين ، كما عرجت الكاتبة للحديث عن الطقوس الأندلسية في ولاية شرشال وما خلفته الحضارة من مكنونات دفينية و إرث ثقافي ترك بصمته اللاذعة داخل العادات والتقاليد الجزائرية .

تواصل الكاتبة السرد معلنة وواصفة الأعراس و الأفراح الجزائرية بكثير من الدقة والتفصيل من جواهر ثمينة و ورود ذهبية والساتان المتموج: “الآن أنا ابنتها أمد لها اليد في بهو الطابق الأرضي، عند ماماني، إن كل امرأة شابة ملفوفة تماما في حايك من الساتان الأبيض بحاجة إلى طفل كي تزور قريبا في الفترة ما بعد الزوال في المدينة الصغيرة، في هذا البهو تتدثر أمي ببطء بحايك ناصع ذي أهداب من حرير وصوف. في مقدوري أن أسمع أيضا حفيف القماش وطياته الرشيقة حول أورك وأكتاف الأم ونحن واقفتان في صلب الظلمة أمام الباب الثقيل في آخر دقيقة من توقفنا: يدي الممدودة تمسك بطرف الحايك قريبا جدا من جسد السيدة الشابة المقنع. ترى هل سأوفق في الخارج في اقتيادها حينما نأخذ في التقدم؟ هذه المرأة التي أرافقها تضع على أنفها مثلثا من فتل الحرير جعل عينيها حرتين - إنه امتياز نساء هذا الميناء¹⁰.

تواصل الأنساق المعلنة في لباس العروس المتكون من الحرير والصوف الناصع البياض حتى أنها سمعت حفيفه وطياته ، واصفة طريقة خروجها واقتيادها لأنها تكون خائفة ومرتبكة نوعا ما كما أنها تضع فتل الحرير مما جعل عينيها حرتين جريئتين جميلتين وأعطتها الأولوية ورتبة الامتياز لنساء هذا الميناء دون منازع لتفاصيلهم الواضحة للعيان.

5/ العادات والتقاليد (الحجاب):

“الذي أمه اللاجنون الأندلسيون منذ ثلاثة قرون خلت. في الشارع، ستمشي المرأة البيضاء و نظرتها مصوبة إلى الأرض، أهدابها مرتعشة من شدة الجهد: أنا لا أشعر بأنني خادمتها فحسب بل لمرافقة التي تسهر على خطواتها. أمي البورجوازية ذات الأصول الأندلسية التي تقطع شوارع العاصمة العتيقة، السيدة التي عمرها لا يتجاوز عشرين سنة بحاجة إلى يدي. أنا صاحبة ثلاث سنوات لربما ثم أربع فخمس سنوات، سأستشعر، بمجرد أن أكون بالخارج، بأن دوري يكمن في توجيه خطواتها، أمام نظرات الذكور بجانب بعض الشوارع أولا خلف الكنيسة ثم نسير على امتداد السيرك الروماني. نواصل السير أمام

مجمع من المنازل القديمة- كل منزل له باب من الخشب المدهون باللونين الأخضر والأزرق وعليه يد ثقيلة من البرونز كمطرقة¹¹.

أنساق معلنة واضحة في ذكر الساردة للتفاصيل التي أثارت إعجابها لارتدائها الحايك الذي يغطي جسدها، وهي تمشي ونظرتها في الأرض ووصفها ووصف عمرها وهي تصوب طريقة مشيتها أمام نظرات الذكور لأن كل أم تخرج مع ابنتها لحمايتها وهي تواجه أولى خطواتها وترسم في ذهن ابنتها ما يجب أن تبعد عنه فكانت أنيسة وحدتها وعزائها في حزنها وهذه المشاعر من شأنها أن تعزز العلاقة بينهما ثنائية (الأم/ابنتها) .

كما أنه نسق مضمّر توضح من خلاله نظرة الرجال لجسم المرأة بكثير من الدقة وما يتجلى في مخيلاتهم في المجتمعات الشرقية كونها عاشت وسط مجتمع تحكمه عادات وتقاليد في غاية الصرامة والجدية. ومن خلال هذه النقطة تعكس نظرة الرجال الغربيين وحضارتهم. وهذا يبدو جليا من خلال سردها: "أصحاب المحلات المنتصرة والمتسكعون الجالسون أو الفضوليون البسطاء"¹².

تقول "نهال مهدات" في مسألة الحجاب: "إن الحضر المفروض على خروج المرأة (سافرة/محجبة) ووضعها في كفي الميزان لا تدخل في سياق الشرع فقط وإنما الحجاب جزء من عادات المجتمع وتقاليدته التي يحضر بموجبها خروج المرأة لأي سبب كان ف.....ترتدي الزي الشرعي الكامل"¹³.

تناولت الكاتبة هذه القضية (الحجاب/الأعراف) وطرحها الكتاب الآخرون كل حسب وجهة نظره وهي متعصبة ضد الحجاب، كونها ترفض لباسه ولو كان يشكل خطرا على مستقبلها الأسري. أنساق مضمرة تمثلت من خلال البطلة فريدة فهي المتنفس الوحيد للحرية واستنشاق عليلها، صراع داخلي بين رغبتها في التحرر والخوف من القيود لتحقيق بذلك رغباتها وميولاتها المتمردة.

6/التحرر:

... كانت فريدة بمثابة سلفنا إن صح التعبير في هذه الطريق الضيقة التي تواجه المحظورات العريقة، كانت فريدة التي كنت أتصورها تعاني معاناة شديدة يوميا، تتحرر من القماش وتسوي شعرها في ظلمة قاعة الانتظار كي تظهر أمامنا نحن رفيقاتها الصغيرات اللواتي كنا نغبطها على صداقتها مع أستاذة الفلسفة.¹⁴ تعتبره في هذا المقطع رمزا للهوان والضعف والانكسار فقد ارتدته بسبب صرامة أهلها، يعد الحجاب حاجزا لها وخاصة أمام صديقاتها كما أظهرت صداقة فريدة مع أستاذتها دليلا واضحا على تميزها وجديتها وتقانيها في الدراسة .

وفي مقام آخر تقول الروائية: "لكن ظلت فريدة هذه الفتاة الغامضة بالنسبة إلى تخيلتها في كثير من الأحيان تحت الحايك الصوفي، صيف أو شتاء، تتجول عبر وسط المدينة مثل قروية مقنعة أو في هيئة امرأة عمرها ستون سنة جراء هذا الحايك الذي ترتديه المسنات والذي يثقل طيفها"¹⁵.

تقول أيضا: "هكذا كنت أتصور فريدة لم أكن أعلم بأنني سألتقي بها بعد عشرين سنة وهي امرأة متحررة تماما ما أكثر مني أوروبا، أجل كنت أراها كل صباح تطوي هذا الحايك الصوفي وتنزع جواربها المفروضة حتى في عز الصيف بعد ذلك تصفف شعرها وتتركه يطفو، ثم تعدل قامتها الجليلة كي تدلف إلى الفناء، مبتسمة وهادئة، لم يكن ذلك لعبة تلعبها: كانت تستعيد تنفسا حقيقيا فرحها يتعاضد حين تتأهب للدخول إلى الدروس: الآن فهمت، والآن فهمتها"¹⁶.

أظهرت الكاتبة "آسيا جبار" من خلال روايتها "بوابة الذكريات" خوفها وقلقها وقهرها وبكائها... مبينة عن التوترات النفسية والاضطرابات التي تمر بها المرأة في العالم الثالث. والخوف من القهر والظلم لها سواء أكان على مستوى الأسري أو على مستوى المجتمع. تسعى أيضا من خلال الأنساق المضمرة التي قدمتها لإبراز العنف ضد المرأة (الحجاب/نسق مضمر)، وهي القضية الواضحة في عملها الأدبي الذي قدمته ، محاولة منها التحرر من كل سلطة وقيد رجولي واجتماعي.

7/ ميولات أخرى:

للكاتبة ميولات للفنون الأخرى كالموسيقى، وحضور الأوبلايت، ودور السينما مع صديقاتها تقول: "احتفظ

بذكرى عن قاعة السينما الكبرى اسمها (الأميرة) التي كانت في الصبيحة تخلو من الناس، في

هذه القاعة شاهدت أفلام الوسترن الأولى التي لا تزال عالقة بذاكرتي" ¹⁷.

تواصل الساردة حديثها: "هكذا علمت بوجود أوبريت عنوانها" أجراس كورنفييل" التي أحرزت على نجاح

عالمي من انتاجها في 1877" ¹⁸.

يحتاج نص (بوابة الذكريات) إلى مزيد من الوصف والتأويل من منظورات تحليلية متعددة لأنها

تعمل باستمرار على إثارة موضوعات مهمة في أدبها فيما يخص الكتابة والهوية، كما أظهرت من خلال

كتابات ثنائيات عدة أسست بها منظومتها السردية اللغة الهوية المرأة الكتابة، الجسد، الحرية، لغة الأم،

اللغة الأجنبية أنساق معلنة واضحة ثم تليها المغيبة والمضمرة. لتطلق العنان ل ذلك إلى ذكرياتها

وتفتح أبوابها فهي رواية تروى في ظل المحظور والممنوع والمكتوم .

8/ القتل:

كما استحضرت الروائية نموذج القتل في قولها: "أيد المحامي نظرية القتل كوسيلة مشروعة للدفاع

عن الشرف، وافقت عليها كذلك هيئة المحلفين، وأعلن التوأمان في نهاية المحاكمة... مستعدان لفعل ذلك

ألف مرة إذا ما توفرت الدوافع نفسها، وهما....لما هذا الاحتياطي في الدفاع منذ استسلما أمام الكنيسة

بعد لحظات قليلة من الجريمة، فقد اقتحما بيت الراهب وهما يلهثان تتبعهما...قرب جماعة من العرب

الهائجين، ووضعوا السكينين نظيفتي النصل على....الأب آمادور، كلاهما كان منهوكا بعد عملية القتل

الهمجية، وكانت ملابسهما وأيديهما مبللة ووجهاهما ملطخين بالعرق والدم الذي مازال ساخنا، ولكن الكاهن

ذكر عملية الاستسلام على أنها وقار عظيم.

قال له بيدرو فيكاريو:

-لقد قتلناه ونحن بكامل وعينا، ولكننا بريئان.

فقال الأب آمادور:

-ربما أنتما كذلك أمام الله.

ورد بابلو فيكاريو:

-بل أمام الله وأمام الناس. فقد كانت مسألة شرف¹⁹.

تجسدت الأنساق المعلنة من خلال تأييد المحامي لفكرة القتل بأنه حق مشروع للدفاع عن الشرف والكرامة و.....وما زاد تأكيد ذلك هيئة المحلفين التي دعمت هذا الفعل الشنيع والإجرامي خاصة عند استجواب التوأمين القاتلين في نهاية المحاكمة ؛ والحوار الذي دار بينهم أكبر دليل وأصدق برهان عندما صرحا بأنهما مستعدان لإعادة العملية آلاف المرات وخاصة في ما تعلق بموضوع الشرف نسق معلن واضح، عكس العادات والتقاليد الغربية التي لا تبدي أي اهتمام لطبيعة العلاقة بين المرأة/العروس وعلاقاتها السابقة قبل الزواج في حين تمثل النسق المضمّر في ماضي الفتاة وعدد علاقاتها السابقة غير المسموح بها اطلاقاً وأبداً للمرأة في المجتمع العربي وإن ثبت العكس ستقتل لا محالة، وبالنسبة لعائلاتها هي وصمة عار ووميض نار ملتهب (القتل العمدى/الشرف) ثنائية مضمرة معلنة في المجتمعات العربية والغربية .

وأكثر من ذلك: “عندما قاما بتمثيل الجريمة أظهرنا شراسة أشد بكثير مما فعلا في الواقع، مما استوجب إصلاح البوابة الرئيسية لبيت بلاثيدا لينيرو من الأموال العامة، ذلك أنها تشققت تماماً بضربات السكاكين. وفي سجن ريوهاتشا، حيث بقيا ثلاث سنوات بانتظار المحاكمة لأنهما لا يملكان ما يدفعانه ككفالة إخلاء سبيل، يتذكرهما أقدم السجناء بمظهرهما الطيب ومزاجهما الاجتماعي، غير أنهم لم يلحظوا عليهما مطلقاً أي شعور بالندم. ومع ذلك كلّ

فالحقيقة كما يبدو هي أن الأخوين فيكاريو لم يفعلوا شيئاً مما ينبغي فعله لقتل سنتياغو نصار في الحال ودون استعراض عام. وإنما فعلاً بالمقابل أكثر مما يمكن للعقل أن يتصوره بكثير من أجل أن يأتي أحد

ويمنعهما من قتله”²⁰. تصف وحشية وشناعة ما فعله الجانيان من تشويه تام للبوابة الرئيسية بضربات وطعنات السكان، خطوات ثابتة تصرفات دقيقة نية واضحة ودافع كبير لقتل سنتياغو نصار .

متجاوزة القيد الروائي؛ أبدعت أسيا جبار أيما إبداع ؛ عبر تحطيمها للمألوف و الخروج عن الحدود نحو ما وراء تخوم الكتابة الروائية على تنوع مشاربها و تلون حللها ؛ يبدو في كتاباتها عنصر الحرية واضحا تمام الوضوح، لأن المرأة ككيان مستقل في الوطن العربي كائن غير واضح الملامح. تعبر وتبوح الكاتبة عن أحقاد دفينة لم يجرؤ أحد على كشفها وتعريتها ،خاصة فيما يتعلق بقضية الخلاص من الوضع الاجتماعي. وهذه حقيقة منسية ومدفونة وراء جدار وغبار الشرق الذي يعني الشرف في عيون الكاتبة؛ فقمعها وضربها قضية مورست على المرأة منذ الجاهلية. وهي أنساق مضمرة مغلنة.

9/ الثقافة العربية والإسلامية:

ثقافة أسيا جبار الأدبية والفنية والعربية الإسلامية خلق منها كاتبة مثقفة ومبدعة تتلاعب بالأنساق المغلنة الثقافية بنوعيتها تلاعبا ينم عن خبرة وفراة ودراسة ثقافية: ” كتبت أحيانا بالدموع لدموع الغضب والهزيمة والجلد والدهشة.....، وأحيانا للقبض على الايقاع منذ يوم من أيام خريف 1953 إلى غاية 2007، بعد أكثر من نصف قرن . ان هذه العقود الثابتة هي التي تبدو لي فجأة قبورا، لنقل بأنها ليست قبورا من حجر بطبيعة الحال، ولا قبورا وحدة وعزلة بفضل الصداقة بين النساء في حوار خفيف أو في الشارع من خلال اشراقات فجائية مع مجهولين (رجال، نساء)“²¹ هي أنساق ثقافية مغلنة واضحة استطاعت بفضل خبرتها أن تجسد و تعكس ظروف المجتمع بكل إيجابياته وسلبياته فهي النموذج المثالي الصادق الذي قدمته دون أي تحوير فهي دعوة للإصلاح من خلال تمسكها بالثقافة العربية والإسلامية ، وهذا التمسك ب الثقافة والتاريخ بمثابة النسق المضمّر الذي لا يمكن كتمانها ما جعل من الرواية حقلا مفتوحا للكتابة الابداعية .

كما جاء على لسان الروائية: "ألاحظ في الوقت المناسب بأن ثقافتنا الإسلامية الأصيلة تجهل أو تتباعد عن هذا الكشف، على الأقل إزاء راهب بإمكانه أن يدفعني مع ذلك أن أقر بندمي مع الغرور بحسباني كاتباً أو كاتبة في حالتي، فالتاء المربوطة هنا قد تدفع إلى المجاملة بل إلى ما هو أدهى: التبختر أمام المرأة....

صحيح أنه خلف (حرير) هذا الصمت تكمن الذات أو الأنا، التي تلتصق، وهي تتكتب شيئاً فشيئاً بطيات الذاكرة وبأول ارتجاجها (الذات-النفس) الأكثر تنكراً، لأنها محووة جزئياً....

نجد توظيف الذي كونه عبارة عن نسق يجمع في نظامه الأعراف والتقاليد التي بني عليها المجتمع الجزائري العريق.

تكتب المرأة كتابة سافرة تمزق كل الأقنعة وتخترق كل الحجب هذه هي إحدى خصائص الكتابة النسائية الخروج عما هو مألوف وواضح للعيان (نسق مضمر). كما استطاعت المرأة/الكاتبة أن تدخل عالم الأدب وبقوة خاصة في فن الرواية، باعتبار أن الرواية جنس مرن في كشفها عن خبايا و غصات المجتمع الدفينة والمنسية هنا وهناك، كما تعد وسيلة من وسائل التعبير الأكثر صدقا عن التفاصيل والهموم مشيرة إلى مواطن الألم والخلل.

10/ الحب والغرام:

تمثلت شخصية آسيا بداية حياتها الغرامية مع شخصية طارق برسائل الحب المنتكرة بأسماء وهمية تقول الروائية: "الرسالة الأولى التي بعثها لي طارق وصلتني إلى الاعدادية وعلى ظهرها اسم بياترس، الصديقة المزعومة التي كان عليها أن تراسلني إلى العاصمة"²².

فرسائل طارق هنا دليل واضح على نسق مضمر غير مألوف خرقت بذلك أسس العادات والتقاليد الجزائرية. تقول أيضا: " في صلب هذا الديكور التقليدي الثابت، أحست بأن بداية مراسلتي مع طارق خرق غير معقول تقريبا"²³ تجسد النسق المضمر من خلال الفتاة البريئة الحاملة التي يتسلل العشق إلى

قلبها دون أي إرهابات ، فتلتقي برجل يحتويها ، وقيود مجتمع يعارضها لذلك استطاعت من خلال الأنساق المضمرة أن تثبت حضورها في المتن السردي بالتعبير عن واقع وفق منظورها الأنثوي.

تواصل الساردة الكتابة خصوصا عندما حدث الانفصال: "الفصل المجنون وغير المتوقع الصادر عن ضربة"²⁴ ضربة أختها من حبيبها بسبب تأجج نيران الغيرة من الزميلة المتطفلة ؛ "كيف استطعت أن أواصل طريقي الطويلة؟ اللهم إلا إذا كان نوع من التحجر قد جعلني لا أبالي بالتأزم والتآكل والخيبة؟ كيف واصلت العيش رغم هذه العتمة المنعقدة فيا، علما بأنني لم أؤذ سوى نفسي والجزء الأنثوي من قلبي؟ لم أعر على إجابة في حين أن هذا التذكير المتأخر لا يتبلور في دوائر متعاقبة إلا ليحاول بسط خيط هذا الحرير المدسوس."²⁵ .

سعت الكاتبة من خلال هذا النسق المضمّر الهروب من هذه القيود التي كبلتها وقضت على أحلامها الوردية مما دفعا للتهرب من العقلية التي يتحلى بها الرجل الجزائري المتخلف والرجعي فهي أغلال وضعها المجتمع الجزائري وطبقها الرجل لخنقها بامتياز .

احتلت المرأة مكانة هامة في رواية (بوابة الذكريات) لأنها تمثل جزءا أساسيا من كيان المجتمع ككل لذا عرضت الروائية من خلاله سيرتها الذاتية ، وأدوار المرأة لا تنتهي ولا تقف عند حد واحد، كثيرا من الروايات التي اتخذت المرأة موضوعا لها ، إذ جاءت حافلة بعطاءات جمّة و متميّزة تعرض بصورة أو بأخرى واقع المرأة قبل وبعد الاستعمار .

و تعد آسيا جبار من الكاتبات الجزائريات اللواتي تحدّثن عن المرأة في كتاباتهنّ و سعت جاهدة إلى ردّ الاعتبار للمرأة، فهي أيقونة لنساء عديدات ، اللواتي أردن الدفاع عن حقوقهنّ عكست ذلك بواسطة الأنساق الثقافية المعلنة ساعة والمغيبة المهمشة ساعات أخريات..

خاتمة:

نصل ههنا في نهاية التطواف في عوالم آسيا جبار الروائية و نخلص إلى ما يلي:

* استثمرت "آسيا جبار" خصوصيتها الأنثوية في بناء نصها وخطابها السردى بعيدا عن الصورة التي وضعها فيها الرجل، وانفلتت من قبضة الدين والإيديولوجيات التي تمارس هنا وهناك وكل قيمة ثقافية وسياسية ضربت بها عرض الحائط على الرغم من قدرتها على التمويه والتلاعب الفكري والعلمي في مخاطبتها للطبقة الأكاديمية.

* التزمت آسيا جبار بحدود انتمائها الفكري الذي اختارته منذ بداية مشاورها وعلاقتها مع الكتابة فالمنحى النسوي لا يتوارى كثيرا عن أنظار القارئ، كما أنها جسدت التزامها بالدفاع عن المرأة في كل وضعياتها ظالمة ومظلومة.

* إن الشرق في نظرها مسألة فيها نظر وهي تزيد وتنقص تبعا لعلاقة المرأة بالنضال الاجتماعي، ويمكن اعتبار الأنساق الثقافية لدى هذه الكاتبة متنفسا حقيقيا سربت من خلاله قناعاتها التي قد تكون مرفوضة من طرف الفئة الغالبة.

* من خلال سيرتها الذاتية (بوابة الذكريات) عكست النسق المضمّر من خلال إبراز قضية المرأة ورغبتها القوية في انصافها كونها إنسانا مهما، أظهرتها بحلة مستحدثة وغير مألوفة عما سبقها من الروائيين.

* من أقوالها الكتابة بلغة أجنبية أرجعتني إلى صرخات النساء الثائرات في صمت، إلى أصلي الوحيد، الكتابة لا تقتل الصوت بل توقظه.....

قائمة المصادر والمراجع:

1 عبد الله الغدامي : النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط5، 200، ص ص 83 84.

2 محمد داود: رشيد بوجدر: وانتاجية النص، المركز الوطني للبحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية

منشورات 2006، CRASC والثقافية 10/09 أبريل 2005، ص 25

3 عبد الله ركيبي: الفرانكفونية مشرقا ومغربا، دار الكتاب العربي، 2009، د ط. ص 210.

4 محمد داود: رشيد بوجدر: وإنتاجية النص، ص 25

5 المثاقفة : في الأصل هي تفاعل خيارى طوعى لا يتم ولا تجنى ثماره إلا برغبة تبادلية بين المثاقفين ولا يمكن أن تتحقق أبداً في حالات الاختلاط القهرى الناتج عن الحروب والاحتلال، وهي تقوم على المكونات البنيوية التكوينية للثقافات و آليات تفاعلها مع بعضها البعض.

6 ينظر مختصون سلطو الضوء على اشكالية الأدب الجزائرى وآفاقه، الأدب الجزائرى رهينة التقليد ومحاكاة الأدب العالمى دون إدراك. الشابكة

7 آسيا جبار (30 يونيو 1936 - 6 فبراير 2015) كاتبة وروائية جزائرية معظم أعمالها تناقش العضلات والمصاعب التي تواجه النساء، كما عرف عنها الكاتبة بحس أنثوى الطابع. كما تعتبر آسيا جبار أشهر روائيات الجزائر ومن أشهر الروائيات في إفريقيا الشمالية، تم انتخابها في 26 يونيو 2005 عضوة في أكاديمية اللغة الفرنسية **Académie française** ، حيث تعتبر أول شخصية من بلاد المغرب والعالم العربى تصل لهذا المنصب.

8 ينظر البريس: تاريخ الرواية الحديثة، تر: جورج سالم، مكتبة الفكر، بيروت، ص: 6.

9 ينظر آسيا جبار: بوابة الذكريات، ص 13.

10 ينظر المرجع نفسه، ص 14.

11 ينظر المرجع نفسه، ص 15.

12 ينظر المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

13 نهال مهدات: الآخر في الرواية النسوية العربية في خطا امرأة والجسد والثقافة، عالم الكتب الحديث، عمان، 2007، ص: 03.

- 14 لمرجع نفسه، ص 194.
- 15 المرجع نفسه، ص 194.
- 16 المرجع نفسه، ص 195.
- 17 المرجع نفسه، ص 179.
- 18 المرجع نفسه، ص 265.
- 19 المرجع نفسه، ص ص: 49 50
- 20 المرجع نفسه، ص 50.
- 21 المرجع نفسه، ص 511
- 22 المرجع نفسه، ص 524.
- 23 المرجع نفسه ، ص 373
- 24 المرجع نفسه ، ص 379.
- 25 المرجع نفسه ، ص 443.
- 26 المرجع نفسه ، ص 444.